

من الظروف ما قرأت

كزينو قراط الفيلسوف

للأستاذ صلاح الدين المنجد



كان في أثينا ، أيام أرسطوفان ، مائة وخمس وثلاثون حظية ،
كن زهوراً فوّاحة فيها ، ونجوماً رقافة في سماءها ؛ وقد أوتيت
الخلابة والظرافة والجمال . وكانت لايس Laïs أخلهن جمالاً
وأبرهن حسناً وأكثرهن دلاً وظرفاً .

ويقولون إن فيثوس ، ربة الجمال والحب ، تجلت لها في الحلم
فأرتها ما ستحفظها به من حظ ، وما ستنتقم به من نعميات ...
ومسحت بكفها الصغيرة جسمها النض ، فجعلته مثار غوايات
وينبوع شهوات

ولم يخلب الملوك ، ولم يشرّد نوم الكهّان ، ولم يُذهل
أحلام الفلاسفة ، غير لايس ؛ لايس الطروب المدلة ، ذات
العين الضحوك والجسم الريان . فكان أهل أثينا يجتمعون
في « الكورنث » مسرح الفو واللذات ، يتمتعون منها
بمحاسن تتجدّد وملاحات ليس تنفد ، فإذا مضت إلى معبد
فيثوس ، فيال سحر الجمال ! هنالك ترى الشعب يتبعها كالخراف
لا يدعون فيثوس ، ولا يبتهلون إلى آلهة الأولب ، ولكنهم
ينظرون إلى لايس

الأندلس وشهد التاريخ أيضاً أن عرب الأندلس لم يجدوا
في محنتهم مأوى غير وادي النيل
متاعب الدنيا في هذه الأيام لن تنسينا ما يجب أن يحفظ ،
ولن ننسى أبداً أن لنا إخواناً هوام من هوانا في جميع الشئون .
الحرب الحاضرة موجة عابرة ، وميزان الوجود لا ترتزله
قلقة وقتية سيزول صداها بعد حين

مصر هي مصر ، والشرق هو الشرق ، ورجاؤه فيها هو
رجاؤها فيه ، ولن ينقسم ما بينها وبينه من موافيق
سنكون فيها بعد أصدق مما كنا فيما قبل « والله العزة
ولرسوله وللمؤمنين »

فيكم صباحك

وفلّك نديها فكانا شركاً وفتنة : غضوضة تأسر اللب
ونعومة تشل الحس ، واهتزاز يفتن الناظر . فكان المثالون
يمطون فيثوس ، إذا نحتوا لها التماثيل ، ندي لايس الحظية
أو فرينه phryné اللعوب
وكانت الدنانير تنثر تحت أقدامها كما تنثر الأزاهير لنظرة
حتون منها أو بسمه خلوب

ودوّخت لايس أثينا كلها ، واشتد سلطان جمالها ،
وتيمت الأرواح وأذهلت الأحلام ، إلا رجلاً واحداً ، كان
يتجلد وبصبر ولا يذعن لسلطانها . هو كزينو قراط الفيلسوف .
لقد طلبت منه مالاً من ماله ... « فإذا أعطيتني ، سكبت
في فك لذة الدنيا ، وأذتتك هناة العمر ، في ليلة واحدة ! »
ورفض الفيلسوف طلباً لايس ، فأقسمت لتغويته ،
ولتجعلته من عباد جمالها المخلصين ، وتناطرت على الهزء به
مع أناس كثيرين .

وطرقت باب مأواه ، وقد عيس الليل ، مذعورة الجنان
دامعة العينين . فقال لها : « ما ذعرك يا لايس ... وما أسأبك
في هذا الليل البهيم ... ؟ » قالت : « لقد تبعتني قطاع الطريق
ورعيتي سفاك الدماء ، يريدون اختطافي ... فأوفى في ديارك
حتى يبرق لي النور ... ! »

وأدخلها الفيلسوف غرفته ، وقدم إليها سريره .
يا عجباً ! لقد اختفت تلك الدموع التّرار التي كانت
تساقطها ، منذ لحظات ، كحبات المطر ، فتجنّدت على خدودها
كالدرر .

وابتسمت لايس ... وابتدأت الفتنة !
لقد وقفت أمامه ، قرأت ما يسحر وما يفرى : فهذه
البسمة الفاتنة كأنها وعد بلذة صخب ، وهاته الشفاء المفترة
التي تقطر الشهد والرحيق ، وهاتان العيتان اللتان ترسلان لهباً
قاراً يوهن القوى ، وينظران نظرات حائلة فيهن ظمأ وعشب
وأسى . وهذان الذراعان البضان اللذان يبتدان للعناق . وهذه
الحركة الرشيقة التي تثير الوجد ، والضحكة البارة التي تفلق
الكبد ، والغمزة الساحرة التي ينخلع لها الفؤاد ... ثم هذا
النض الجميل ، والنفور اللطيف ، وبذلك الدلال الحلو والإقبال